خاتم البشر الفوكوياما و البيوتكنولجيا و التداعـــيات الفلسفية- الايديولوجية لنهاية التاريخ أم لبداياته ؟

الأستاذ: بيدة عبد المالك

أستاذ مساعد -كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية جامعة غرداية-الجزائر

Résumé de l'article en français :

La Fin de l'histoire et le Dernier Homme ,est un essai du politologue et philosophe américain **Francis Fukuyama** publié en 1992, identifié comme l'un des essais les plus importants du XX^{e} siècle[1].

Fukuyama- a travers la répercussion de la théorie de **Alexandre Kojève** su la « fin de l'histoire »- affirme que la fin de la Guerre froide marque la victoire idéologique de la démocratie et du libéralisme (concept de démocratie libérale) sur les autres idéologies politiques. Fukuyama est par ailleurs conscient que la chute du Mur, la dislocation du bloc de l'Est va entraîner d'importants troubles : la fin de l'Histoire ne signifie pas selon lui l'absence de conflits, mais plutôt la suprématie absolue et définitive de l'idéal de la démocratie libérale, lequel ne constituerait pas seulement l'horizon indépassable de notre temps mais se réaliserait effectivement.

C'est du super homme- de **Nietzsche** ; que Fukuyama tire la notion du dernier homme. Nietzsche était sans nul doute le critique, sinon le pourfendeur le plus impitoyable de la démocratie libérale, estimant qu'elle conduisait a un dangereux nivellement vers le bas des potentialités humaines ;et produisait ce que dédaigneusement,il appela « le dernier homme » un être flasque et ennuyeux qui se complait dans la consomation confortable du bienêtre, matériel. Partant de cette notion nietzschéenne du dernier homme, Fukuyama s'interroge sur les possibilités laissées ouvertes par la démocratie libérale à ce qu'il qualifie de « mégalothymia » ;c'est a-dire le désir d'être reconnu comme supérieur aux autres, et non seulement comme leur égal (ce dernier désir étant appelé`isothymia'). L'auteur note avec justesse que la démocratie libérale offre des possibilités pour satisfaire la mégalothymia (p. ex. sports éprouvants ou dangereux), mais il se demande si de telles possibilités sont

en mesure de satisfaire la mégalothymia de tout le monde Bien que dans son ensemble le livre de Fukuyama semble plutôt traduire une vue, optimiste de l'avenir en grande partie motivée par les événements récents (disparition de certaines dictatures de droite pendant les années 70 et 80, chute du mur de Berlin, fin des dictatures communistes dans l'Europe de l'Est,...)les notes finales laissent cependant transpercer un certain scepticisme. Comparant les différentes

nations à des chariots, et les modèles politiques qu'elles adoptent à des villes, Fukuyama écrit:"Malgré la récente révolution libérale qui a secoué le monde entier, les témoignages que nous pouvons recueillir sur la direction de la migration des chariots

ne permettent pas - provisoirement- de conclure.Nous ne pouvons pas non plus savoir, en dernière analyse, pour peu qu'une majorité de chariots aientatteint la même ville, si leurs occupants, après avoir regardé un peu autour d'eux, ne trouveront pas l'endroit inadapté et n'envisageront pas de repartir pour un nouveau et plus long voyage." (p. 380)La critique nietzschéenne ne semble pas être passée sans laisser de traces sur l'optimisme kantien et hégélien qui caractérise la plus grande partie de l'ouvrage.et sur l'autre paire de manche ,en trouve la situation déterminante du dernier homme fukuyamien au point de vue technologique , si bien que , on trouve plusieurs notions déductives et inductives de fukuyama , lie a la répercussion de l'évolution de la **Bio-Technologie** et sa relation du dernier homme .

Mais pourtant ; malgré ces caractéristiques déductives des dernier homme de Fukuyama ;

Il existe autre théories ;qui controverse totalement et radicalement les prévisions de la fin d'histoire et le dernier homme .au titre d'exemple : le choc des civilisations de **Samuel Huntington** , et l'anarchie créative .

مقدمة:

تعود فكرة نهاية التاريخ و الانسان الأخير كفلسفة نسقيه ، إلى نحو قرنين من الزمان ، فقد أعلن الفيلسوف الألماني " هيجل" أن التاريخ انتهى عام 1860 م عندما دحر" نابليون بونابارت" الملكية البروسية في معركة " يينا" انتصارا لمثل الثورة الفرنسية ، وبشيرا بامتداد الدولة التي تجسد مبادئ الحرية و الإخاء والمساواة في العالم.

ثم رأى "**كارل ماركس**" – أشهر من روج لفكرة نهاية التاريخ – أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية، التي ستحل في النهاية جميع التناقضات السابقة لها. بيدأن، هناك من يرى أن فكرة نهاية التاريخ لا تعود الى" **هيجل**" أو" **كارل ماركس**" بل هي متجدرة في التاريخ الإنساني ،فالى جانب ما جاء على لسان الأنبياء و كتبهم و رسالاتهم و مختلف أديانهم، نجد" **القديس أوغستين**" .في عام 1989 كان قراء الدورية الأمريكية " **الناشيونال انترست**" على موعد مع مقالة حفرت حروفها في تاريخ النظريات الفلسفية والسياسية الحديثة تحت عنوان " نهاية التاريخ " و التي توجت بكتاب مثير،سنة 1992 بعنوان: **" نهاية التاريخ والإنسان الأخير"** للمفكر الأمريكي ذو الأصل الياباني : **"يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما"** المولود بمدينة " شيكاغو" عام 1952 من أهم مؤلفاته، ما ذكر أعلاه ، و"أمريكا في مفترق الطرق " و غيرها و يعتبر من أهم الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين المعاصرين .

اعتمد **" فوكوياما"** في تأكيد أطروحته حول نهاية التاريخ ،على استقراء وتشريح و تحليل أرمادة من النظريات الفلسفية للتاريخ و النظر إليها من خلال الوقائع والتطورات السياسية والاقتصادية والتاريخية الراهنة، حيث اعتمد بشكل مركز على " **هيجل**" و" **ماركس** " علاوة على المواقف الفلسفية كلاسيكية. سنحاول في هذا المقال الإجابة على أحد التساؤلات أو الاشكاليات المحورية المرتبطة بنظرية نهاية التاريخ ،والتي تتمحور إجمالا حول :

*** الاشكالية المحورية:**

- ماهي حقيقة خاتم البشر الفوكوياميي وعلاقته بالبيوتكنولوجيا ، و ماهي التداعيات المفهومية الفلسفية- الايديولوجية ،لنهاية التاريخ أم لبداياته؟

المبحث الأول: خاتم البشر الفوكوياميي في نظرية نهاية التاريخ .

1- تموقع الانسان في فلسفات ماقبل فوكوياما :

أ)-الانسان الأول ما قبل فوكوياما: قبل الحديث عن خاتم البشر عند "فوكوياما" ، ارتأينا التعريج على مفهوم الانسان الأول ، الذي من خلاله يمكننا ادراك التمايز ، فبأضدادها تتمايز الأشياء . و في العموم ،فان المقصود بالانسان الأول هو جملة الخصائص و المواصفات ،التي ميزت الانسان الذي عاش في الحياة الطبيعية –ما قبل الحياة السياسية- التي لا يقيدها قانون او دستور أو أنظمة و تنظيمات و قيود حضارية ، و لخصنا فيما يأتي أهم خصائصه ،من خلال كل من : "توماس هوبز"، "جون لوك" و "هيجل".

- **توماس هوبز** : حالة الطبيعة عند "هوبز" ،هي عملية ((استدلال من الانفعالات))[1]، يقول " فوكوياما" :" ... وقد استخدم هوبز حالة الطبيعة- كما استخدم هيجل تصوير المعركة الدامية – من أجل ايضاح و ضع البشر الناجم عن تفاعل أهم الانفعالات الانسانية و أبقاها على مر الزمن "[2].

و في الطبيعة الانسانية ثلاث أسباب للنزاعات وهي : أولها التنافس ، وثانيها فقدان الثقة بالنفس ، وثالها السعي الى تحقيق المجد و اشباع الغرور و الكبرياء ، وقد يتنازع الناس من أجل الضروريات كما تنازعون عن التفاهات ، فمن الخصائص الأساسية للإنسان الأول عند "هوبز " تتلخص في كونه يعيش حياة طبيعية ، ملؤها الحروب والصراعات و التنازع ، و حرب الجميع ضد الجميع ، فالإنسان الأول ذئب لأخيه الانسان ،و

1- Hobbes thomas,Léviathan, M. Philippe Folliot, (1651, en anglais), édition de C.B. Macpherson, Pelican Classics, Penguin Books,paris,p106

[2]- ف، فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر،مصدر سابق ،ص144

تعتبر أخلاق الكبرياء والغرور و الرغبة في الاعتراف عند هوبز مصدر كل أعمال العنف و شقاء انسان الطبيعة.[3]

- **جون لوك** : يتفق "لوك" مع "هوبز" في تحديد الخصائص الأساسية للإنسان الأول – ما قبل الحياة السياسية- على أن غريزة حب البقاء ،هي من أهم العوطف طرا ، و أن الحق في الحياة هو الحق الرئيسي الذي تتفرع منه سائر الحقوق الأخرى .و رغم أن فكرته عن وضع انسان الطبيعة أرق ملامح من ملامح فكرة "هوبز" ، فهو يوافقه على أنه يميل الى التدهور الى حال من الحرب أو الفوضى ، وأن الحكومة الشرعية تنشأ عن الحاجة الى حماية الانسان من عنفه.[4]

كما لا يختلف "لوك" عن "هوبز" حول التقييم النسبي للمزايا الأخلاقية للاعتراف و التقدير في مواجهة الحفاظ على الذات ، اذ لا بد من التضحية بالأولى في سبيل الثاني .[5]

- **فريدريك هيجل** : الانسان الأول عند "لوك" يشبه نظيره عند "هوبز" ، غير أنه يختلف اختلافا جذريا عنه عند "هيجل" ، فالإنسان الأول عند هذا الأخير ،لا يرغب في الممتلكات المادية و انما يريد اعتراف الأخرين بحريته وانسانيته ، و هو في سعيه الى نيل الاعتراف لا يأبه بالأمور المادية .[6] ويعظم "هيجل" السيد الأرستقراطي الذي يخاطر بحياته في معركة من اجل الاعتراف ،متأثرا بالثقافة الجرمانية ،باعتبار الانسان نمطا انسانيا حقيقيا، وما السيد الأرستقراطي عند "هيجل" الذي يخاطر بحياته ،الا النموذج المثالي للنزوع الانساني الى الحاجة الطبيعية، والى مرتبة أرقى وهي نيل المنزلة اللائقة ،التي لا يرضيها الا الاعتراف بها . ومن خلال معادلة الصراع بين العبد والسيد ، يصبو و يرنو "هيجل" الى تحديد البعد الأخلاقي والمعنوي بنحو ما، للحياة البشرية ،بحيث يصور الانسان باعتباره كائنا اخلاقيا ترتبط كرامته بتحرره من القيود المادية والطبيعية .هذا البعد الأخلاقي و الصراع من أجل الاعتراف و التقدير و نيل المنزلة ،هما في تصوره المحركان للمسار الجدلي للتاريخ و السيرورة التاريخية .[7]

و يرى "هيجل" أن العاطفة التي تزج بالإنسان الى الصراع الدموي الحامي الوطيس من أجل المنزلة والاعتراف ،ليست هي الطمع بالظفر بممتلكات مادية ، بل من أجل الكبرياء و الاحترام للذات .و أن غريزة حب البقاء هي أقوى العواطف الطبيعية ، وأن المعارك البدائية تعني توترا أساسيا بين كبرياء الانسان أو رغبته في

---

[3]- المصدر نفسه،ص145

[4]- المصدر نفسه،ص145

[5]- المصدر نفسه،ص147

[6]- المصدر نفسه،ص147

[7]- ف، فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر،مصدر سابق ،ص 149

نيل الاعتراف ،التي تجره جرا الى المخاطرة بحياته، هذه المعركة و هذا الصراع أدى الى قيام جدلية العبد والسيد في سيرورة التاريخ [8]، والتي آلت الى اذعان أحد طرفي الصراع للآخر .ويؤمن "هيجل" أن استعداد الانسان الى المخاطرة بحياته من أجل المنزلة ،هي الخاصية التي تجعل من الانسان انسانا حقيقيا ،و هو أساس الحرية البشرية .[9]، لذلكيقول "فوكوياما" في هذا السياق، حول نقطة الاختلاف فهي :"... الوزن الأخلاقي النسبي لانفعالات الكبرياء و الغرور (أي الاعتراف و التقدير) من ناحية ، والخوف من القتل من ناحية أخرى..."

ب) - رجل نيتشه الخارق (السوبرمان):احتقر "نيتشه" الدين المسيحي بشكلليس له مثيل , كما اعتبر أن الحضارة الأوروبية على وشك الإنهيار في حال ما واصلتتمسكها بالدين المسيحي والمثل العليا القديمة لأن انهيار تلك القيم القديمة سيؤديلحالة فراغ أو فجوة هي (العدمية) . من هنا تبدأ تظهر ملامح الإنسان الخارق لـ"نيتشه"ومفاتيح تلك الشخصية أي الإنسان المتعالي، حيث يلفت" يانيس كونستانتيدس" أن السياسة الفعالة عند "نيتشة "،تتضمن ارادة تطبيق فعل دائم على الثقافة،...و الهدف هو خلق امكانية ظهور طبقة ممتازة... وتحديد مشوار الحضارة [10].

يرى "نيتشة"أن الضعفاء في العصور السابقة، قاموا بابتداع المثل العليا لتحقيق مآربهم , فقامبمهاجمة كل القيم والمثل العليا القديمة. لذلك يرى ،ان الانسان الأعلى ،لايمكن تشبيهه بأي نوع من البشر ، فهو فلسفة في حد ذاتها تقدم نفسها كفلسفة مستقبل ، تمثل المناقض الحقيقي لفلسفة التطور.[11]

ظهرت في التأمل الثالث من **" اعتبارات في غير أوانها"** التيفيها يحاول " نيتشة" إعطاء الطريقة النموذجية التي من خلالها يحقق الانسان ذاته و ادراك ذاته الحقيقية ، ومواجهة ذاته التي لاتكمن متخفية بداخله ولكنهامتجلية في الانسان الأعلى.[12]

تظهر أيضاً بعض ملامح الإنسان المتعالي لدى "نيتشه" أو الخارق أوالسوبرمان من خلال كلمات "**زرداشت**" الإله الفارسي الذي جعله" نيتشه" بطلاً لكتابه " **هكذا قال زاردشت** " حيث يقول :" اني آت اليكم بنبأ الإنسان المتفوق. فما الأنسان العادي الا كائن يجب أن نفوقه .فماذا أعددتم للتفوق عليه ."[13].

---

[8]- المصدر نفسه، ص 144

[9]- المصدر نفسه،ص 145.

[10] - yannis constantinides,NIETZSCHE ,1ere edition.paris :hachette2001,p.117

[11]-yvon belaval , et d'autre, histoire de la philosophie du xix siécle a nos jours, encyclo.paris gallimard.1974. ,p.335.

[12]- صفاء عبد السلام علي جعفر ، محاولة جديدية لقراءة فريديرك نيتشة، دون طبعة، مصر دار المعرفة الجامعية1999 ص.193-194

[13]- نيتشة فريدريك،هكذا تكلم زرادشت،تر. فليكس فارس،دون طبعة بيروت :دار القلم، دون تاريخ ص.33

يحدد لنا "نيتشة" ملامح الإنسان الخارق أو المتعالي " السوبرمان" الذي يتميز جملة وتفصيلا عن الانساني العادي ، فالرجل الخارق قام بمشوار طويل و مضني لكي يصل المستوى الذي تبوءه ، بين أقرانه من الموجودات الحية ، برا، بحرا، جوا ، انطلاقا ،من أصغر الكائنات التي تدب على الأرض، الى كائن تجتمع فيه كل مواصفات الكمال.[14]

ويوضح "نيتشة" قضية التفوق، و ضرورة تخلص الانسان من طبيعته الأولى القردية والديدانية حيث يقول :" لقد خلقت جميع الكائنات حتى الآن شيئا يتجاوزها. وتريدون أن تكونوا ارتداد هذه الموجة الكبيرة. و أن تعودوا الى الحيوان بدل أن تتجاوزوا الانسان " [15]

تبقى الكثير من طلاسم "نيتشه" في كتبه "**هكذا قال زارادشت**"محل اختلاف مشتغيلي الفلسفة , والتي فسروها بأكثر من طريقة جعلت هذا الكتاب يحملغموضاء وسحراء خاصاء تميز به عن باقي كتب الفلسفة. يقول "نيتشه": إذا لم تتوقف عملية انحطاط الإنسانية بواسطة عمل جديد مبدع، فإن «المجتمع المتحضر» وكل الإنسانية محكوم عليها بالدمار. ولكن مَنْ الذي يستطيع تحقيق ذلك؟ ويجيب "نيتشه": إنه الرجل القوي، فقط إرادة الفرد، تفكيره المبدع الذي يتجاهل الحدود من أجل إنقاذ الإنسانية من التفسخ. لذلك يقول" فلاديمير بياجي" في كتابه "نيتشة" :" الانسان الأعلى يثبت الوجود في كل أشكاله و في كل امكاناته .. والوعي بالزمان لن يكون عاملا للتأسف ..." [16]..

كان "شوبنهاور" . يقول نيتشه . «يعتقد بأن الإرادة هي الجوهر ذاته لحياتنا ولكل الأشياء، ولكل الكون. إن الإرادة تملأ محتوى كل الأشياء، وهي منشأ تطور ونهاية حياة العالم والروح. يسيطر الأقوياء، أما الضعفاء فهم التربة المغذية لأسياد العالم».[17]

ولكن من يحمل في داخله «الإرادة»؟ يجيب "نيتشه": «الارستقراطية» فقط. الفئة القليلة العدد من النخبة المزودة بالصفات الجيدة، صفات السيطرة. وهنا نرى أن تعاليم نيتشه تتجسد تماماً باعتبارها نصيرة لتطور التشدد الارستقراطي، النخبة والأقوياء الارستقراطيون الذين لا يعرفون الشفقة. واعتبر الجماهير ليست خليقة حتى بحمل اسم الإنسانية. واعتبر الحركة الثورية الاشتراكية تجلياً للانحطاط. والناس «الكثيري العدد» يجب أن يموتوا.[18]

---

[14]- المرجع نفسه، ص.35

[15]- نيتشة فريدريك،هكذا تكلم زرادشت،مرجع سابق، ص35

[16] -vladimir biaggi, Nietzsche ,paris :armand colin,1999 ;p.81.

[17]- المرجع نفسه ، ص142-144

[18]- المرجع نفسه، ص146-148

فمعيار كل تطور هي طبقة النخبة، وهو حافز التقدم، والسير قدماً إلى الأمام. ونظراً لأن "نيتشه" يكره الجماهير الشعبية، فقد كان يحتقرها ويسميها مبتذلة، قطيع من الماشية، جبانة، وكتلة من العبيد لا وجه لها.[19]

وخلاف الشعارات الاشتراكية والنزعة الديمقراطية، فإن لنيتشه شعاراته الخاصة. فالاشتراكية والنزعة الديمقراطية تشيع المساواة بين الجميع. أما نيتشه فيصر على عدم مساواة الجميع.

يرى "نيتشه": إنه يجب أن يفهم الناس نهائياً، بأنهم يعيشون فقط لكي يدوس الأسياد الارستقراطيون على عظامهم. فالإنسانية مجرد مادة لنهوض وصعود أولئك الذين لديهم إرادة. وليس ذلك هدف بحد ذاته، ولكن وسيلة. وغرض التاريخ ليس الإنسانية، بل «السوبرمان». ويرى "نيتشه" في «السوبرمان» قمة العملية البيولوجية للعرق البشري، والحلقة الأخيرة في هذه العملية.، غير أن هذا يختلف عن الطرح الداروينى، لأن الانسان الأعلى ليس داروينيا ، و هذا ما يؤكده " أويغن فنك" الذي يرى أن استعانة " نيتشة" بالمفاهيم البيولوجية في هذا المدمار ،لايتعدى مجرد تأثره، بروح عصره ، واعادة صياغة مشكلته لأفكار شائعة فيه.[20]

الجمهور القطعان يجب أن ترضخ أمام قوة السوبرمان. ومجد "نيتشه" الحرب وإراقة الدماء ،وأن الحرب اذا كانت شرا، فإنها شر لابد منه، وهو شيء أساسي، لأنه لا يمكن صنع أي شيء في المجتمع دون الحرب. بحيث أن التخلي عن الحرب يعني التخلي عن نطاق واسع من الحياة.[21]

وإلى جانب احتقاره للجماهير، فقد احتقر المرأة ، حيث يرى " نيتشة"لا تحرير للمرأة، فالمسألة النسوية هي هراء، ولا حرية للمرأة، ولا يمكن أن تكون هناك مثل هذه الحرية، والمرأة لا يمكن أن تكون مساوية للرجل الذي يتمتع بصفات طبيعية قوية ورجولية. كما يرى أن المرأة تدخل في جيش العبيد الكثر، وهي في عداد الضعفاء ويجب أن تبقى كذلك.[22]

- **الانسان الأعلى جسور شجاع يهزم الموت:** ان الانسان الأعلىلا يخشى الموت بل يهزمها ، و ينفيها في وجوده . وهوالأمر الذي يؤدي الى زوال الأديان التي تشكل المنبر الأهم للأخلاق. و تفقد مصداقيتها كما سيخرس مزدري الجسد ووعاظ الموت أو ذباب السوق.[23]

---

[19]-المـــــرجع نفسه، ص150

[20] -jean michel Bésinier, Histoire de la philosophie moderne et contemporaine, Figures et œuvres.paris :grasset et fasquelle.1993.p.356.

[21]- فريدريك نيتشة. هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق ، ص31-35

[22]- المرجع نفسه ، ص215-218

[23]- صفاء عبد السلام علي جعفر ، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشة، مرجع سابق،ص211

وحده الانسان الكائن الذي لا يتعايش مع الموت ، لأن من مميزاته الرئيسية المجازفة و المخاطرة و الجسارة و الشجاعة لذلك يقول "نيتشة" :" ما الانسان الأعلى الا حبل منصوب بين الحيوان والانسان الأعلى . فهو الحبل المشدود فوق الهاوية ".[24]

ويقول أيضا :" ان في العبور للجهة المقابلة مخاطرة . وفي البقاء وسط الطريق خطرا. و في الالتفات الى الوراء. وفي كل تردد.و في كل توقف خطر.ان الحياة محفوفة بالأخطار." [25]

- **الانسان الأعلى يدوس الأخلاق و يحتقرها :** اعتبر "نيتشه" أن أخلاق العبيد تقوم على الوداعة، وعلى الشفقة، والحب، والضعف، والغفران. أما أخلاق الأسياد فتقوم على القساوة، والجرأة، والقوة، وانعدام الشفقة.

كما أن الإنسان السوبرمان أو الخارق الذيبشر به "نيتشه" هو إنسان يملك القوة بحيث يفعل مايريده هو كافراء بكل قديم من تلكالمثل أو القوانين القديمة المكبلة للأخلاق وخصوصاء الدين . أيضاء كان يرى في(السوبرمان) بالإضافة لإنكاره الدين والمثل العليا القديمة و الفعل القائم علىالإرادةالشخصية بشكل شبه (براغماتي) على الإنسان السوبرمان إدراك اللاغاية منالوجود واللاغاية من كل شيء كالمثل الأخلاقية والحياة ذاتها . وكان يرى أن ذلك سيصنع المجتمع السعيد , واهتمامه بالمجتمع هنا هو نقطة انفصال رئيسية عن الوجوديةالتي تقدس الفرد على حساب المجتمع و إن كان ذلك غير مستغرب على "نيتشه" المختلف دائما.

ان مفاهيم الخير والشر، الحق والباطل، ستصبح لدى الانسان الأعلى مجرد تقويمات سطحية عملت على الحط بمستوى الانسانية ، ومستوى الانسان – الفرد،من خلال رفع شعارات تعبر عن وجهة نظر الكم وحده. فنجدها حسب " نيتشة " تنادي بالمساواة " نحن جميعا متساوون، و ليس ثمة أناس أعلى من أناس" كما تنادي بأكبر سعادة لأكبر عدد ممكن من الناس.[26]

فالإنسان الأعلى النيتشاوي ،هو الانسان المتميز ، المستقل ،المتفرد ، المتحرر من أخلاقيات العادات والتقاليد و الذي يملك وعيا بالحرية والقوة و الاكتمال .

يقول "نيتشة" في" **جينيالوجيا الأخلاق** " :" أن أنضج ثمرة من ثمار الشجرة هي الفرد المتميز ، الفرد الذي لا يشبه الا ذاته ، الفرد المتحرر من أخلاقيات العادات والتقاليد ، الفردالمستقل والسوبر الأخلاقي .

---

[24]- فريدريك نيتشة. هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق،ص35

[25]- فريدريك نيتشة. هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق ، ص35

[26]- عبد الرحمان بدوي ، نيتشة ، ط5 ، 1975(وكالة المطبوعات : الكويت)، ص225

الانسان الذي يستطيع أن يقطع عهدا و ذلك الذي يمتلك في ذاته وعيا حقيقيا بالحرية و القدرة ، وشعورا في النهاية ، بأنه وصل الى اكتمال الانسان فيه "[27]

- **هل الانسان الأعلى ،خاتم البشر؟ :** يوضح لنا" نيتشة" مدى التمايز بين الانسان الأعلى و الانسان الأخير ، فهذا الأخير هو انسان التقزز ، و هو لحظة من لحظات اللااكتراث التي تفضل ألا تكون هناك قيم من أن توجد قيم مطلقة.[28]

فالرجل الأخير هو رجل السلبية العدمية التي أصابت الغرب ، في حين فان الانسان الخارق أو الأعلى ، هو صاحب الارادة المثبتة والقوة الفاعلة ،هو الذي يقول نعم للحياة و الضحك واللعب والرقص ، ما دام الضحك هو اثبات للحياة و حتى للألم في الحياة ، وما دام اللعب اثبات للصدفة و اثبات للصيرورة .[29]

ان الانسان الأعلى في نظر " نيتشة" هو الذي يقول هكذا يجب أن تسير الأمور ،انه في مقام الأسد مصارع تنين الوصايا، ليدلي بنعم جذرية للعالم . فلا يكتفي بقوله" أريد " بل يقول أيضا " اني أكون "[30]

2- خاتم البشر و الإنسان الأخير عند فوكوياما :

فكرة خاتم البشر أو الانسان الأخير ، استوحاها " فوكوياما"من فكرة الانسان الممتاز أو " السوبرمان " عند "فريدريك نيتشة " الواردة في كتابه الشهير **" هكذا تكلم زرادشت"** – حسب بعض المصادر- ويرى" فوكوياما" أن الفلسفة الكلاسيكية ،ذهبت الى أن للإنسان كرامة باعتباره و سطا بين الحيوانات و الآلهة ، فجزء من طبيعة الإنسان حيواني بيد أنه وهب العقل الذي هو من سمات الإنسان وحده و لا تشاركه السلالات الأخرى فيه . وقد كان التمييز بين الانسان و غيره حيويا للغاية عند "كانط" و "هيجل" والتراث المسيحي الذي استند اليه .فللكائنات البشرية كرامة أرفع شأنا من كل ما عداها في الطبيعة لأنها وحدها الكائنات الحرة وتتمتع بالقدرة على الاختيار الأخلاقي الحر.[31]

ويفهم السلوك البشري بكليته على ضوء دوافع دون إنسانية ودون عقلانية ، ذلك أن ما ارتآه "كانط" اختيارا حرا عقلانيا رآه" ماركس" ثمرة للقوة الاقتصادية ،ورآه "فرويد" رغبات جنسية عميقة ودفينة ، في حين يرى "داروين" أن الانسان تطور بالفعل من كائنات أقل منه ، و يمكننا سبر هذه الطبيعة على ضوء

---

[27] - فريدريك نيتشة، أصل الأخلاق و فصلها، تعر حسن قبيسي ط1، 1981(المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع – بيروت) ص55

[28] - جيل دولوز ، نيتشة والفلسفة، تعر، أسامة الحاج ، ط1 1996،(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع- بيروت)ص193

[29] - نور الدين الشابي، نيتشة ونقد الحداثة، (د.ط.القيروان 2005: دار المعرفة للنشر). ص 372

[30] - أويغن فنك،فلسفة نيتشة ،تر،الياس بديوي .1974(منشورات وزارة الثقافة و الارشاد، دمشق) ص 78

[31] - ف، فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر،مصدر سابق،ص259

البيولوجيا والكيمياء الحيوية ، ولقد بينت العلوم الاجتماعية في عصرنا الحديث أن الإنسان محصلة مركبة للبيئة الاجتماعية والثقافية .و هذا التطور الحيوي قد يتواصل في استمراره حسب ما أسماه " نيتشة" ((الوحل اللزج الحي)) إلى مراحل أكثرا تعقيدا وتركيبا وارتقاءا.[32]

وحسب "فوكوياما" أن الإنسان هو مجرد صورة أكثر تنظيما و تفوقا وعقلانية من الوحل اللزج مقارنة بالكائنات الحية الأدنى . غير أن ما يميزه ويطبع جوهر الطبيعة البشرية هو الكرامة والشهامة و التوق الى المنزلة و الاعتراف و اثبات الذات مدفوعا بحركية الثيموس و العقل و القوى الداخلية .في تفاعلا مع القدرة على الاختيار الأخلاقي والاستخدام الحر للعقل .[33]

لقد ركز "فوكوياما" كثيرا على أراء" نيتشة" و"هيجل" و" الكسندر كوجيف" في تحديد سمات و مواصفات خاتم البشر أو الانسان الأخير ، فمن أهم مواصفاته هذا الأخير، أنه يرنو ويصبو الى المنزلة و الاعتراف و يكافح بلا هوادة على نيل الاعتراف ، و أنه حقق هذا الأخير(أي الاعتراف) حين منحته الدولة العامة و المتجانسة حقوقه المجسدة في الدولة الديمقراطية [34]. .

الليبيرالية، فارضاء الثيموس هو من أولى الأولويات عند خاتم البشر .لأنها مسألة حيوية و حجز الزاوية عند الانسان الأخير.[35]

كما يرى" فوكوياما" على لسان "أفلاطون " أنه في حين نجد الثيموس أساسا للفضائل ، فهي في حد ذاتها لا هي بالخير ولا هي بالشر ، وانما ينبغي ترويضها حتى تخدم الصالح العام ، و بعبارة أخرى فانه من الواجب أن يتحكم العقل في الثيموس و أن تتحالف الرغبة مع هذه الأخيرة ، والمدينة الفاضلة هي حيث يتم ارضاء الجوانب الثلاثة جميعا و يتحقق التوازن فيما بينها بهدى من العقل .[36]

و عليه يرى- فوكوياما – و على هدى هذا المعيار بالمقارنة بالبدائل التاريخية المتاحة-أن الديمقراطية الليبيرالية هي أفضل الأنظمة التي تتيح أوسع المجال للأقسام الثلاثة (أي تحقيق التوزان بين القوى المؤثرة على جوهر الطبيعة البشرية و هي :العقل + الرغبة + الثيموس)

علاوة على تحقيق "**الايسوثيميا**" و "**الميجالوثيميا**" المروضتين . و من هنا يتجسد خاتم البشر،الذي يقبل بعالم خال من الحروب و منصرف الى اشاعة الفضيلة ، كما هو الحال بالنسبة لمواطني وبشر الديمقراطيات

---

[32]- المصدر نفسه،نفس الصفحة.

[33]- المصدر نفسه،ص259

[34]- المصدر نفسه،ص 263

[35]- ف، فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر،مصدر سابق ،ص263

[36]- المصدر نفسه ،ص292

الليبيرالية ، وهذا خلافا لمواطني النظم التي تنتمي الى عوالم التخلف الذين تتصف قلوبهم بالقسوة و عدم الرحمة .[37]

فخاتم البشر هو الذي رباه مؤسسو الليبيرالية الحديثة ، المتخلي عن اعتزازه و ايمانه بتفوقه في مقابل البقاء والراحة و الطمأنينة ، فالديمقراطية الليبيرالية أنجبت أناس محبين للسلام والفضيلة و منافحين على حقوق الانسان، فهم يجمعون بين الرغبة والعقل ويفتقرون للثيموس ، و هم مهرة في اكتشاف وسائل جديدة لإشباع حشد من الرغبات عن طريق مراعاة الصالح الشخصي بعيد المدى ، ولن تكون لدى خاتم البشر – كما يرى فوكوياما- أي رغبة في أن يعترف به ، باعتباره أعظم من الآخرين ،وبالتالي فانه في ظل انعدام هذه الرغبة لا يمكن بلوغ أي تميز أو انجاز خارق ،فهو قانع بسعادته غير قادر على الاحساس بالخجل كونه عاجزعن الارتقاء فوق مستوى احتياجاته.[38]

و سنحاول من خلال ما يأتي ابراز أهم المميزات و المواصفات ، التي يتميز بها الرجل أو و من خلال مختلف الفلسفات و الآراء التي تناولته.)الانسان الأخير (last man

أ- خاتم البشر والاعتراف: يبن لنا "فوكوياما" أن خاتم البشر يسعى سعيا حثيثا الى تحقيق ذاته ،من خلال الحرص على تحقيق الحرية والمساواة ، وهذه الغايات لا تتحقق الا و فقط في ظل الديمقراطية الليبيرالية ، هذا النظام اذي يجسد نموذج الدولة العامة والمتجانسة ،التي تتحقق فيها الحقوق والحريات بأسمى معانيها .حيث يتحقق الاعتراف المتبادل والشامل .[39]

و ان المجتمعات التي يسودها الاعتراف الناقص ، سيؤدي حتما الى انهيارها ،كما الشأن في المجتمعات الشيوعية ، و لهذا يقول " فوكوياما" :" ان التبادل الناقص للاعتراف سيكون مصدرا لمحاولات في المستبقل للعثور على بدائل ديمقراطية الليبيرالية و للرأسمالية يقوم بها اليساريون " [40]

لكن "فوكوياما" يبين من جهة الأخرى الانتقادات الموجهة للديمقراطية الليبيرالية، كون هذه الأخيرة، تمارس الاعتراف غير المتكافىء لأناس متكافئين، غير أنه سرعان ما يبين أن العكس هو الخطر الأكبر ، لذلك يقول :" بيد أنه في حين نجد أن الاعتراف غير المتكافىء لأناس متكافئين هو أكثر التهم الموجهة الى الديمقراطية

---

[37]- المصدر نفسه ،نفس الصفحة.

[38]- المصدر نفسه ،ص17

[39]- ف، فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر،مصدر سابق ،ص260.

[40]- المصدر نفسه ،ص 261

الليبيرالية شيوعا، فثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأن الخطر الأكبر و الأشد سيكون من اليمين ،أي من ميل الديمقراطية الليبيرالية الى توفير الاعتراف المتكافئ لأناس غير متكافئين "[41]

ب- **خاتم البشر الفوكوياميوالأخلاق** : يرى" فوكوياما" أن خاتم البشر ، في ظل المجتمعات الديمقراطية ، لا يغدو جديا في الاهتمام بالموضوعات ذات المضمون الأخلاقي الحقيقي، فالنظرة المعيارية الأخلاقية ،لاستحسان سلوكات الغير أو استهجانها ، لاتتماشى و مبدأ التسامح الديمقراطي ، في مجتمع مختلط الأعراق و الديانات . ولهذا نجد خاتم البشر سينشغل قبل كل شيء بصحته و أمنه ، مأكولاته و مشروباته و الرياضة التي يمارسها ، أكثر من اهتمامه بالمسائل الأخلاقية، فهو شبيه الى حد ما بالعبد.[42]الخاضع لبيئة من المتطلبات، التي تستنفذ كل تفكيره و أوقاته ، غيرأن خاتم البشرسيعاني من التطورالمعقد المتراكم للمجتمع البشري صوب النظام الديمقراطي.فالكائن الحي لابد أن يرتبط بصورة دائمة بجملة من القيم و المبادئ التي تعطي للتفاعلات الفردية والاجتماعية معنى و هدف.

ج- خاتم البشرالفوكوياميوالنسبية:

يرى "فوكوياما" أن من المواصفات الذهنية والسلوكية لخاتم البشر ، الاعتقاد بالنسبية في كل شيء ، فلا وجود للمفاهيم المطلقة ، و الطروحات المطلقة ،بل كافة نظم القيم متصلة بزمانها ومكانها ، و كل شي نسبي . وهذا انعكاس للتعليم الحديث المعتمد. لذلك يقول :" ان التعليم الحديث يبعث ميلا الى النسبية ،أي المبدأ القائل بأن كل الآفاق و كافة نظم القيم متصلة بزمانها ومكانها،و لا شيء منها موثوق به ،و انما هي تعكس أهواء ومصالح المتمسكين بها . وهذه النظرية التي تقول بأنه ليس ثمة منظور ذو حظوة، تتماشى تماما مع رغبة الإنسان الديمقراطية في الايمان بأن أسلوب حياته يتساوى في صلاحيته مع سواه من أساليب الحياة الأخرى . و لا تؤدي النسبية في هذا المقام الى تحرير العظماء أو الأقوياء ، وانما الى تحرير أوساط الناس الذين اقتنعوا بأنه ما من سبب يدعوهم الى الخجل من أنفسهم ."[43]

د-خاتم البشر الفوكوياميو نبذ الحروب:

يرى "فوكوياما" ، على غرار المواصفات أعلاه ، فان خاتم البشر ، انسان نزاع الى السلم ، وأن الحروب لا جدوى منها ، و هو يرى أن الولاءات التي دفعت أمم أو أناس الى أعمال رهيبة ملؤها الشجاعة و الاقدام و التضحية والبطولات ،تبين لاحقا ،هي مجرد تعصب أعمى ، وحماقات لا جدوى منها . لذلك يرى" فوكوياما "[44]

---

[41]- المصدر نفسه ،ص 261

[42]- المصدر نفسه ،الصفحة ذاتها.

[43]- ف، فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر،مصدر سابق،ص267

[44]- المصدر نفسه،نفس الصفحة.

أن خاتم البشر في نهاية التاريخ ،سيعلم جيدا أنه من العبث المخاطرة بحياته من أجل قضية حيث أنه يدرك أن التاريخ مليء بالمعارك التي لم يكن ثمة مبرر لها ،اقتتل فيها الناس حول ما اذا كان ينبغي على الانسان أن يكون مسيحيا أو مسلما، بروتستنتيا أو كاثوليكيا ،المانيا أو فرنسيا . وقد أثبت التاريخ اللاحق أن الولاءات التي دفعت الناس الى القيام بأعمال رهيبة ملؤها الشجاعة و التضحية هي مجرد تعصب أعمى. أما من تلقوا تعليما حديثا فقانعون بالبقاء في بيوتهم ،فخورين بسعة أفقهم و بعدهم عن التعصب . أو كما يقول" نيتشة"عنهم على لسان زرادشت:" لهذا كله قل : واقعيون نحن بغير ايمان و بغير خرافة .فابسطوا صدوركم ... و لكن وا أسفاه... انها صدور خاوية ."[45]

المبحث الثاني: فوكوياماوفلسفة النهايةالبيوتكنولوجية:

ان فكرة التحسين النوعي للجنس البشري، جالت في عقول المفكرين منذ زمن طويل ،عالجها "أفلاطون" و" نيتشة" و "فرانسيس جالتون"، ولقد قام هذا الأخير ،بنشرها في بدايات القرن الماضي،وسرعان ما اعتنقها لفيف كبير من كبار المفكرين والعلماء والفلاسفة والسياسيين ،وهذا بفضل طموحات علماء البيوتكنولوجية المعاصرين،الذين وضعوا نصب أعينهم هدف القضاء على الفقر والمرض و تحسين النسل البشري للوصول الى النموذج البشري المنشود ،صحة ، قوة،عقلا وذكاءا ،لكن أي صفات تلك التي سنحاول بلوغهاللوصول الى الانسان الجديد الذي يخشى "فوكوياما" أن يقضي علينا ؟[46]

1- **الهندسة الوراثية :** لقد أثار استنساخ النعجة ((دوللي))في فيفري 1997 ،صدمةعلمية نوعية في مجال العلوم البيولوجية الحياتية،مما أكد أن البشرية أمام تحدي علمي كبير أفرزه الثورة العلمية في حقل الهندسة الوراثية البشرية، انطلاقا من مجرد يوجينيا بسيطة ،نزيد فيها من النسل الأفضل ونقلل من النسل الأسوأ ، فآلياتها تقتضي النفوذ الى داخل المادة الوراثية للكائن البشري ،تغير فيها و تبدل لتكون نتائجها فورية ،انها في المحصلة قضية يوجينيا جديدة سلحت بعلم حديث بالغ التطور .[47]

من بين التكنولوجيات الجديدة قيد الدراسة هناك الكروموزومات الاصطناعية التي تضيف كروموزوما اضافيا الى الستة وأربعين ،وقدتكون هذه التقنية قنطرة ما بين الفرز قبل الغرس و بين التحوير المستديم للخط الجرثومي ، غير أن من بين العقبات الكأداء التي تطرح بثقلها ،تتعلق بأخلاقيات التجريب على البشر ، من جهة والنتائج الغير مقدرة العواقب والغير متحكم فيها التي قد تؤدي الى تدمير الجنس البشري، فالهندسة الوراثية هي رافد عظيم الجلل في تطوير البيوتكنولوجية التي تقتضي معارف كبيرة وعميقة عن السببية

---

[45]- المصدر نفسه ،الصفحة ذاتها

[46]-

[47]- ف، فوكوياما،نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية،تر، أحمد مستجير،ط1(اصدرات سطور. المعادي،مصر 2002)ص1

الوراثية ، عقاقير الأعصاب و سبل اطالة الحياة، غير أن الأمر الخطير في الأمر هو ما يعتري المنظورية الأخلاقية والقيمية من ارتجاجات تغير مفاهيمها و تغير هوية البشرية حول مفاهيم جوهرية حول العدالة و الفضيلة و الحياة والقيم ،فتصبح قضايا خلافية في الصميم .[48]

2- **الطبيعة البشرية:**البيوتكنولوجية أضافت قدرا كبيرا الى مخزوننا حول الطبيعة البشرية ، تجاوزت التفسيرات الكلاسيكية. فمفهومنا للطبيعة البشرية قد تغير ، من حيث السلوك ، اللغة العواطف،المشاعر،الثقافة ، الذاكرة ،فصفحة "جون لوك" البيضاء–على سبيل المثال لاالحصر-التي يولد بها الانسان، أصبحت أمرا خلافيا ،بحيث كيف نفسر الاستجابات البشرية الفطرية المتجانسة التي توجه تكوين آراء أخلاقية عبر النوع بصفة متماثلة ، و هذا ما يصفه"كانط" بالوحدة الصورية للوعي الاستبطاني. فالبيوتكنولوجية غيرت الكثير من المفاهيم السائدة حول الطبيعةالبشرية.[49]

3- **عواقب البيوتكنولوجيا** :قد تكون من بين منتجات البيوتكنولوجية منتجات تضاهي في قدراتها التدميرية اكتشاف الذرة ،والأسلحة النووية ،بل قد تتجاوزها الى مخاطر أكبر على الجنس البشري : كبكتيريا مؤذية للغاية مثلا أو فيروسات جديدة أو أغذية محورة وراثيا تسبب تفاعلات سامة،لكن الأخطرفي الأمرهو ماأشارت اليه التطورات الجـــديدة التي يلخصها "فوكوياما" في ثلاث سيناريوهات :

السيناريو الأول: يختص بالعقاقير الجديدة و علم عقاقير الأعصاب التي قد تغير شخصية الانسان جذريا وما قد ينتج عنها من تبعات خطيرة ناجمة عن سوء الاستعمال و الافراط وتغييرات نمطية في الشخصية البشرية.[50]

السيناريو الثاني: المتعلق بالبحوث الخاصة بالخلايا الجذعية و تأثيرات النانو- تكنولوجي في تغيير البنية البيولوجية للإنسان و الجانب النفسي والروحي والأثار الجانبية المترتبة عن ذلك .

السيناريو الثالث: التطورات البيوتكنولوجية قد تساهم في تكريس اللامساواة بين البشر[51] و مايترتب عن ذلك من اختلال موازين العدالة ، وخلفيات اجتماعية غير متوازنة ، فالشاب الأقل ذكاءا لا يلقي اللوم على نفسه بل على الخيارات الوراثية السيئة لأبويه.

---

[48]- المصدر نفسه ص 10

[49]- المصدر نفسه ص 118

[50]- فرانسيس فوكوياما،نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، مصدر سابق ص 190

[51]- المصدر نفسه ،ص 23

4-البيوتكنولوجية، استئناف التاريخ أونهايته؟: جادل "أرسطو" في الواقع بأن الأفكار البشرية حول الخطأ والصواب ترتكز في نهاية الطاف على الطبيعة البشرية،فالرغبات الطبيعية و الأهداف والسلوكات لها تأثير توجيهي جوهري على مفهوم الخطأ والصواب و العدل والظلم و الحق والباطل .[52]

كل من "سقراط" و" أفلاطون" و"آرسطو" تناول محاورات كبيرة حول الطبيعة الانسانية ،أثرت في التعالم الغربية العصور متأخرة وحتى ظهور الديمقراطية الليبيرالية ، وكان جدالا كبيرا تدور رحاه حول كنه وحقيقة الطبيعة البشرية ، بيدأن القاعدة المطردة المتفق عليها ،أن الطبيعة البشرية هي حجر الزاوية في تحديد قيم الخطأو الصواب والحق والعدل .[53]

ان تأسيس الحقوق لابد أن يرتكز مبدأيا على مفهومنا للطبيعة البشرية ، التي تحاول البيولوجية الحديثة تقديم محتوى تجريبي حولها.[54]، كماان مفهوم نهاية التاريخ لا يمكن أن تتحدد الا وفقط ، مع تلازمها و نهاية العلم والتكنولوجية الحديثة ،فالبيوتكنولوجية و التفهم الأعمق للمخ البشري والطبيعة الانسانية،لهم نتائج سياسية وأخلاقية غاية في الأهمية .[55]

اذا كانت النازية ترى أن البيولوجية أثر جوهري ،فالشيوعية ترى لا أثر لها ، فان الديمقراطية الليبيرالية التزمت بالحياد ، فالسياسة فيها رسمت و ترسم تبعا لمعايير العدل التاريخية ،دون التدخل في أنماط السلوك الطبيعي.[56]

يرى "فوكوياما" من وجوب التحذير من عواقب البيوتكنولوجية كالاستنساخ ، بحوث الخلايا الجذعية وهندسة الخط الجرثومي ،و تداعياتها حول تغيير الطبيعة البشرية ومن ثمة خلخلت القواعد و المنظومات الفكرية والثقافية والأخلاقية و السياسية والاقتصادية .ان التحدي ليس أخلاقيا فقط بل سياسيا ، ذلك أن القرار السياسي الذي نتخذه في السنين القليلة القادمة بخصوص علاقتنا بهذه البيوتكنولوجية سيكون هو من يقرر ان كنا سندخل الى **مستقبل بعد- بشري** ، وهو الذي سيحدد الهوة الأخلاقية المحتملة التي قد يفتحها المستقبل أمامنا.[57]

المبحث الثالث: التداعيات الفلسفية- الايديولوجيةللنهاية أم البداية:

---

[52] - المصدر نفسه ،ص 37.

[53] - فرانسيس فوكوياما،نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، مصدر سابق ص190-195

[54] - المصدر نفسه،ص 190-209

[55] - المصدر نفسه،ص190-209

[56] - المصدر نفسه،ص 26 -118

[57] - المصدر نفسه،ص 134-159

ان نظرية نهايةالتاريخ فتحت الأبواب والشهية لتداعي الأفكار الكامنة في الوعي الباطني لمنظري الفلسفةوالفكر والايديولجياو السياسة الغربيين، لتصور العالم حسب ثقافاتهم و استراتيجياتهم في ظل الأحادية القطبية، وليس بالضرورة أن تكون هذه التداعيات مطابقة أو متناقضة مع المنظور الفوكوياميي ،والتي أفرزت نظريات فلسفو- ايديولوجية التي كانت أحيانا من النقيض الى النقيض من بينها ما يأتي :

1- نظرية صراع وصدام الحضارات لـ صامويل هنتنجتون * :

برز اسم "هنتنجتون" أول مرة في الستينات بنشره بحث بعنوان "**النظام السياسي في مجتمعات متغيرة**"، وهو العمل الذي تحدى النظرة التقليدية لمنظري التحديث والتي كانت تقول بأن التقدم الإقتصادي و الإجتماعي سيؤدي إلى قيام ديمقراطيات مستقرة في المستعمرات حديثة الإستقلال، لذلك يقول في كتابه " **صدام الحضارات**" :" ... قد شهدت السنوات التي تلت الحرب الباردة بدايات تغيرات مثيرة في هـويات الشعوب و رموز تلك الهويات، و بدأت السياسة الكونية في اعادة التشكل على خطوط ثقافية ".[59]

ان الصراع بين الدول والجماعات دائماً واسطة ،غائيته، فرض الرأي والثقافة الخاصة بدولة أو شخص ما على جماعة أو دولة أخرى باللين أو القوة. فكرة الصراع الإنساني قديمة في حد ذاتها، غير أن المميز حاليا ، أن الهوية الحضارية و الثقافية هي حجر الزاوية في الصراع ، وليس الدول ككيان سياسي مستقل ، لذلك يقول متحدثا عن مؤلفه المثير للجدل:" الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب هو أن الثقافة و الهويات الثقافية و التي هي على المستوى العام هويات حضارية ، هي التي تشكل أنماط التماسك و التفسخ و الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة " [60].

- **الحقبة الجديدة في السياسة العالمية** : يرى " ص.هنتنجتون" أن الحقبة الجديدة في السياسة العالمية ، محركها الأساسي و المحوري هو الصراع أو التصادم ، فالصراع في العالم الجديد، لا يكون ايديدولوجيا أو اقتصاديا بقدر ما يكون حضاريا و ثقافيا بالـدرجة الأولى ، ويمكن تلخيص ، تصوره للمعالم الأساسية لهذه الحقبة ، من خلال مقولة " هنري كسنجر" التي استشهد بهان التي مفادها : " النظام العالمي في القرن 21 سيضم على الأقل ست قوى رئيسية : الولايات المتحدة،أوروبا، الصين ،اليابان ،روسيا، و ربما الهند ، بالاضافة الى عدد كبير من الدول متوسطة أو صغيرة الحجم ." و القوى الرئيسية الست عند " كيسنجر"

(*) " **صامويل فلبس هنتنجتون**" (Samuel Phillips Huntington) (ولد 18 أبريل1927) مفكر ومنظرو أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزين في القرن الحادي والعشرين سيكونوا الحضارات وليس الدول القومية. مؤخراً استحوذ على الانتباه لتحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. وهو أستاذ بجامعة هارفارد. من مؤلفاته : "صراع الحضارات" و "من نحن والهجرة".

[59]- صامويل فلبس هنتنجتون، صدام الحضارات -اعادة صنع النظام العالمي، تر، طلعت الشايب،تق، د.صلاح قنصوه،ط1 (1998)،ص35.

[60]- المرجع نفسه، ص37.

تنتمي الى خمس حضارات متباينة. في هذا العالم الجديد تكون السياسة المحلية هي السياسة العرقية و السياسية الكونية هي سياسة الحضارات المختلفة .[61]

- **الصدام و الميزان المتغير للحضارات** : "هنتنغـتون"، تناول في كتابه " **صدام الحضارات**" أمور هامة كمفهوم الحضارات، مسألة الحضارة الكونية العلاقات بين القوة والثقافة، ميزان القوى المتغيرة بين الحضارات، العودة إلى المحلية والتأصيل في المجتمعات غير الغربية، البنية السياسية للحضارات، الصراعات التي تولدها عالمية الغرب ، ومستقبل الغرب وحضارات العالم.والصراعات الأكثر ترجيحاً ، هي التصادم القائم بين جماعات ودول من حضارات مختلفة، وأشكال التطور السياسي والاقتصادي السائدة، تختلف من حضارة إلى أخرى، كما أن القوة تنتقل من الغـرب الذي كانت له السيطرة طويلاً إلى الحضارات غير الغربية،و بالتالي السياسة الكونية تصبح متعددة الأقطاب ومتعددة الحضارات. فحضارة الغرب تتأرجح بين القوة والضعف و الاضمحلال ، بالرغم من السيطرة الراهنة الشبه المطلقة، و التي يمكن تحسسها من خلال : امتلاك و ادارة النظام المصرفي العالمي ، التحكم في كل العملات الصعبة ، الزبون الرئيس للعالم، السيطرة على أسواق العالم الرئيسية، ممارسة قيادة معنوية عالمية ، القدرة على التدخل العسكري الواسع ، التحكم في الطرق البحرية.[62]

كما أن حضارة الغرب،تقود معظم البحث العلمي و التطوير التقني ،و تسيطر على الصناعة والفضاء و وسائل الاعلام ، و صناعة الأسلحة ذات التقنية العالية ...الخ. غير أن الغرب قد تتآكل أوليته ، بحكم التحولات الحضارية و موازين القوى المتأرجحة .[63]

- **صدام الحضارات و قضاياالتداخل الحضاري**: يرى "هنتجتون" أن العلاقات في العالم الناشىء، تشوبها العدائية و التوتر، بين مختلف الحضارات و الجماعات ، وخاصة بين الغرب من جهة ، والعالم الاسلامي والحضارات الآسيوية من جهة أخرى. فالغرب يحاول جاهدا المحافظة على على تفوقه المتواصل ، و الدفاع عن مصالحه ، بتعريفها على أنها مصالح (المجتمع العالمي)، حيث يقول " هنتنجتون":" من المرجح أن تكون علاقات الغرب بالاسلام و الصين متوترة على نحو ثابت و عدائية جدا في معظم الأحوال . علاقات الغرب مع امريكا اللاتينية و أفريقيا ، وهما حضارتان أضعف و معتمدتان الى حد ما على الغـرب ، سوف تتضمن

[61] -Samuel Huntington,The clash of civilizations and The remaking of world order,Simon and Schuster,1996,New York 10020,p,463

[62] -Ibid,p,132-133.

[63]- صامويل فلبس هنتنجتون، صدام الحضارات -اعادة صنع النظام العالمي، مرجع سابق ،ص135.

مستويات اقل من الصراع ، وبخاصة بالنسبة لأمريكا اللاتينية . علاقات روسيا واليابان والهند بالغرب من المرجح أن تكون وسطا بين العلاقات "[64]

- **مسار صراع الحضارات و اعادة التشكيل الثقافي للسياسة الكونية**:يقول " هنتجتون" :" الشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب و الشعوب و الدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد. الحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية .'. ففي المرحلة الأولى كان التاريخ من صنع الحكام و صراعاتهم ، ثم تلاها تاريخ الصراع بين القوميات و الشعوب والدول ... أما ما يسمى بحرب الايديولوجيات ،هو استمرار للصراع بين الرأسمالية والايديولوجية السوفياتية الماركسية ، وبين لنا " هنتجتون" أن مسارات الصراع الحضاري بين الثقافات يرجع الى جملة من الأسباب منها: تعدد الهويات التي تتحكم فيها ، القرابة، المهنة ، الثقافة، الاقليم ،الحزب ، الايديولوجيا[65]. على غرار ذلك ، نجد البروز المتزايد للهوية الثقافية ، نتيجة التحديث الاجتماعي والاقتصادي على المستوين الفردي و الاجتماعي ، مما يدفع المجتمعات غير غربية الى تنشيط الهويات والثقافات المحلية والأصلية حفاظا على الاطار الثابت للشخصية الثقافية ، الى جانب هذا نجد اشكالية الهوية على مستوى الشخصي و القبلي و العرقي والحضاري ، زيادة على هذا مصادر الصراع بين الدول و الجماعات بحثا عن بسط الذات و السيطرة و النفوذ ،و الدوافع الغريزية والنفسية المرتبطة بغريزة العداء و التنافس بين البشر في جميع المجالات .[66] كما يرى "هنتجتون" ، أثناء الحـــرب الباردة ، كان يمكن أن تكون هناك دولة غير منحازة ، كما كان الواقع السياسي آنذاك ، كما أن ميكانيزمات الانحياز أو عدم الانحياز ، تتحكم فيها عملية تقييم ادراك قادة الدول لمصالحهم الأمنية و حساباتهم لموازين القوى، و خياراتهم الاستراتيجية و الايديدولوجية ، لكن في العالم الجديد الراهن – ما بعد الحرب الباردة- أصبحت الهوية الثقافية هي العامل الرئيسي في تحديد صداقات دولة ما و عداواتها، بينما كانت دولة ما ، تستطيع أن تتجنب الانحياز أثناء الحرب الباردة ، الا أنها لا يمكن أن تفقد هويتها .[67] لقد كان السؤال المحوري الذي يحدد آلية الانتماء – سابقا- (الى أي جانب أنت.؟)، حل محله السؤال التالي :(من أنت ؟) و على كل دولة أنت تجد لها اجابة.هذه الاجابة هي هويتها الثقافية ، التي تعتبر حجر الزاوية في تحديد تموقع الدولة في السياسة العالمية ، كما تحدد صداقاتها و أعدائها.[68] .كما يرى "هنتنجتون" أن ميزان القوى المتغير بين الحضارات ، وبين دول المركزبها،أحد مصادر حرب كونية خطرة بين الحضارات ، كصعود الصين ، ولقد تنشأ حروب ،نتيجة تصعيد

---

[64]- المرجع نفسه،ص294و295.

[65]- المرجع نفسه،ص203و208.

[66]- صامويل فلبس هنتنجتون، صدام الحضارات -اعادة صنع النظام العالمي، مرجع سابق ،من ص203 ،208- 211

[67]- المرجع نفسه ، ص203

[68]- المرجع نفسه ، ص203

حرب من حروب خطوط التقسيم بين جماعات من حضارات مختلفة .[69] وتعتبر الحضارات هي القبائل الانسانية النهائية ، و صدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق كوني . في العالم المتنامي بعد الحرب الباردة .[70] كما يقترح هنتجتون دواءا يتمثل في مجموعة من القوانين ، منها : قانون الامتناع ، وقانون الوساطة المشتركة ، و القانون الثالث : قانون العوامل المشتركة ، فهذه القوانين الاجرائية – حسب هنتجتون- لا تساهم في الحد من الصدام ، بل تساهم في تقوية الحضارة.[71]

2- نظرية الفوضى الخلاقة أو الفوضى الايجابية : يرى بعض المنظرين ، أن **فكرة الفوضى الخلاقة** هي من نتاج الفيلسوف الايطالي "نيكولاي ميكيافيلي" في كتابه "**الأمير**" الذي وضعه خصيصا لـ" سيزار بورجيا" .لكن هناك من يرجعهاالى سنة 1942، حين أصدر "جوزيف شامبيتر" كتابا،مضمنا إياه تصوره لآليات اشتغال النظام الرأسمالي، وتعذر تصنيف صاحبه بهذه الجهة أو تلك (ليبيرالي أم ماركسي أم بعضا منهما معا)، فإن شهرة الكتاب وصاحبه إنما تأتى لهما من أطروحة مركزية وهي(**أطروحة "التدمير الخلاق"**)، والتي تبدو لنا أنها تعدت، بعد أكثر من ستة عقود، ما كان يرومه الكتاب أو يضمره صاحبه من بعد فلسفي وفكري وسياسي.[72]

خاتمة :

فكرة خاتم البشر أو الانسان الأخير ، استوحاها " فوكوياما"من فكرة الانسان الخارق عند " نيتشة " و مختلف الفلسفات العقلاينة، المادية و الروحانية القديمة.ويرى" فوكوياما" ويفهم السلوك البشري بكليته على ضوء دوافع دون إنسانية ودون عقلانية ، ذلك أن ما ارتآه "كانط" اختيارا حرا عقلانيا رآه" ماركس" ثمرة للقوة الاقتصادية ،ورآه "فرويد" رغبات جنسية عميقة ودفينة ، في حين يرى "داروين" أن الانسان تطور بالفعل من كائنات أقل منه. ولقد حدد"فوكوياما " جملة من المواصفات و الخصائص التي تطبع سلوكات الانسان الأخير، والتي سبق و ان ذكرناها.و حسب فوكوياما فان للبيوتكنلوجيا عواقب وخيمة، ان لم تتم السيطرة عليها بمنظومات قانونية و أخلاقية و ايتيقة جد صارمة.

---

[69]- المرجع نفسه ، ص505

[70]- المرجع نفسه ، ص335

[71]- المرجع نفسه ، ص518

[72]- د.يحي اليحياوي، الفوضى الخلاقةأو الفوضى الايجابية، الموقع:

- http://www.elyahyaoui.org/desordre_creatif.htm

ولقد ظهرت البيوتكنولوجيا لتعيد صناعة وهندسة الانسان من جديد، فمن المعروف ان مختبرات البنتاغون تعمل على تطوير برامج تقنية هائلة تحدد مناطق الشعور في الدماغ والخلايا وتجري تجارب عليها، وقد نجحت في الكثير منها وزرعت نبضات في الدماغ تتلقى الاشارات وتفهمها وتحولها الى سلوك، وهذا جزء اساسي من الحرب الناعمة التي تداخلت فيها كل الوسائل وتشابكت وتضافرت لتغدو سلاحا رهيبا اشد فتكا من الذرة، ليقول: **احد الفلاسفة ان التكنولوجيا غدت ايديولوجيا، وهي الايديولوجيا الاكثر فتكا واستلابا للانسان،** ولافكاك منها الا باستعادة التقنية الى مربع الانسانية وليضع العالم ضوابط اخلاقية لها تحميه من الاندثار وتحويله الى مهرج في سيرك يسير عن بعد.

فهرس المصادر والمراجع:

أ- المصـــادر باللغة العربية و الفرنسية:

1- فرانسيس فوكوياما، (نهاية التاريخ وخاتم البشر)، ترجمة،حسين أحمد أمين،ط1،(مركز الأهرام للترجمة والنشر1993) .

2- فرانسيس فوكوياما،(نهاية التاريخ والانسان الأخير)، تر،و تعليق،د.حسين الشيخ،ط1،دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت،1993.

3- فرانسيس فوكوياما،(نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية)،تر،أحمد مستجير،ط1 (اصدرات سطور. المعادي،مصر 2002)

1- FRANCIS FUKUYAMA,THE END OF HISTORY AND LAST MAN , THE NATIONAL INTEREST,16 (NEW YORK: SUMMER-U.S.A,1989)

ب- المراجع بالعربية:

1- أفلاطون، الجمهورية،تعريب حنا خباز،(د.ط،لبنان:دار القلم،دس).

2- نيقولا ميكيافللي (الأمير) تعليق ببنتو موسوليني ، تعريب خيري حماد ، وفاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة العشرون، 1994 .

3- هيغل (محاضرات في فلسفة التاريخ – العقل في التاريخ) ترجمة عبد الفتاح إمام ، الجزء الأول، لبنان، الطبعة الثانية، 1981.

4- ويل ديورانت (قصة الحضارة) ترجمة زكي نجيب محمود الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1965.

5- الدكتور أنور الجندي (الاسلام وحركة التاريخ) دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، 1970.

6- ادوارد كار (ماهو التاريخ) ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل ، لبنان ، الطبعة الثانية.

7- البان ج – ويد جيري (المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي) ترجمة ذوقان قرقوط، لبنان، الطبعة الأولى ، 1972.

8- فؤاد زكريا،نيتشة،ط1 (سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف،1956).

9- د- سليمان الخطيب (فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي – دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر–) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

10- محمد كامل الخطيب (المجتمع المدني والعلمنة) الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1994.

11- ماكس هوركهايمر (بدايات فلسفة التاريخ) ترجمة محمد علي يوسف، بيروت الطبعة الأولى، 1971.

12- جيل دولوز ،(نيتشة والفلسفة)، تعر، أسامة الحاج ، ط1 1996،(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع- بيروت)

13- نور الدين الشابي، (نيتشة ونقد الحداثة)، (د.ط.القيروان 2005: دار المعرفة للنشر).

14- أويغن فنك،فلسفة نيتشة ،تر،الياس بديوي .1974(منشورات وزارة الثقافة و الارشاد، دمشق)

15- فريدريك نيتشة.(هكذا تكلم زرادشت)، تر.فليكس فارس،دون طبعة بيروت:دار القلم،دون تاريخ.

16- فريدريك نيتشة، (أصل الأخلاق و فصلها)، تعر حسن قبيسي ط1، 1981(المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع .بيروت)

17- ناصيف نصار، (الفلسفة في معركة الايديولوجية) ط2 (دار الطليعة- بيروت 1986)

18- صامويل فلبس هنتنجتون،(صدام الحضارات.. اعادة صنع النظام العالمي) ، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم د.صلاح قنصوة،ط1998،1.

ج- المراجع بالفرنسية:

.1-Besnier(Jean.Michel) Histoire de la philosophie moderne et contemporaine, figures et œuvres,paris :Grasset etFasquelle.1993.

2- Constantinides (Yannis),Nietzshe,1ere édition.paris :Hachette,2001.

- Biaggi(Vladimir), Nietzshe,Paris :Armand colin,1999.3

- Dictionnaire Des Symboles ,Paris :Robert Laffont.1982)4

5- Nietzshe (Fredrick) ,The Use and Abuse of History: U.s.a Iindiana Polis-Bobze; Printrie-Meeryl 1957.

Badieu(Alain),Les Grands Entretiens Du Mondes,Paris :E.Galillee19946-

7-Samuel Huntington,The clash of civilizations and The remaking of world order,Simon and Schuster,1996,New York 10020.

-8 Hobbes thomas,Léviathan, M. Philippe Folliot, (1651, en anglais), édition de C.B. Macpherson, Pelican Classics, Penguin Books,paris.

د-المعاجم والقواميس: باللغة العربية و الفرنسية:

1-صليبا جميل، المعجم الفلسفي ،ج1و2،بيروت:دار الكتاب اللبناني،1982.

2- بدوي، عبد الرحمان، الموسوعة الفلسفية،ج1و2 بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.1984.

3-هيغل،فريدريك موسوعة العلوم الفلسفية تر، وتقديم وتعليق ،امام عبد الفتاح امام،(دار الثقافة، القاهرة 1985)

4- روزنتال وبودين، الموسوعة الفلسفية ،ترجمة سمير كرم ،مراجعة صادق جلال العظم وجورج طرابيشي(درا الطليعة- بيروت).

5. www.google.com. http://ar.wikipedia.org- وكيبيديا- الموسوعة الحرة

6- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة: دار احياء التراث العربي،ط1965.

Dictionnaire Raynaud Et Stephane Rials- Philosophie Politique- P.U.F-2005 PARIS - P.928-1

Encyclopaédia Universalis.1980-2

هـ - المقالات: باللغة العربية والفرنسية:

1- السامراني (نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما) الفيصل، السعودية، عدد 243، 1996.

2- محمد السماك (موقع الاسلام في صراع الحضارات) مجلة الاجتهاد ، عدد 26، 27، بيروت ، 1995 .

3- الهاني ادريس (من النبوءة والتاريخ – دراسة في القوانين التاريخية وإمكانية التنبؤ) مجلة الكلمة، عدد 3.

4- محمد عابد الجابري ،الشأن الانساني في عصر الخوصصة والعولمة العدد 1 ،(مجلة فكر ونقد، 1997

1- DE LA CAMPAGNE(Christian),Bilan D'un Siecle De Philosophie,(Magazine Litteraire,N° :215 ;1996)

2- Folscheid(Dominique), La Philosophie Morale Et Populaire, ,(Magazine Litteraire,N° :215 ;1996)